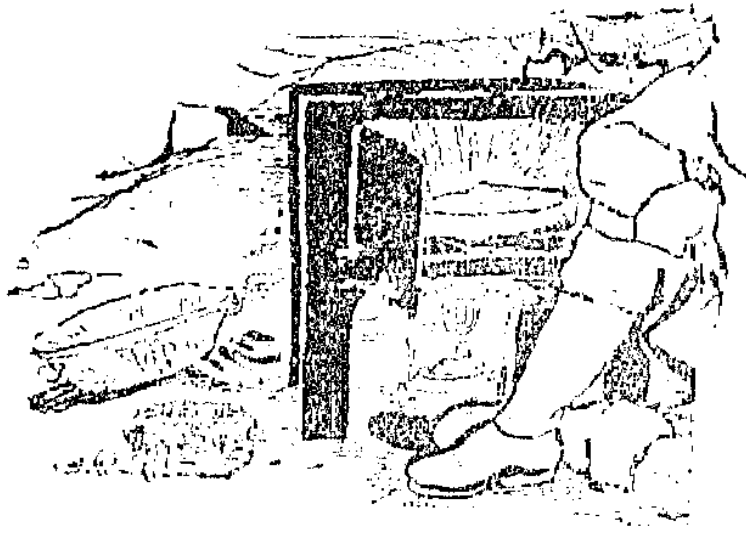




ودق المدفع وأقبل الضباط على خيمة
الأكل وفوجئوا بالصينية تتوسط
المنقرة . . وجلست أنا والبارودي نترك
أيدينا وقد كسونا وجوهنا علامات للتواضع
وانكار الذات .

صينية قرع..

أن هناك سؤالاً أعيتني إجابته كهذا السؤال ؟ .

ماذا يحدد صاحبنا « الضَّوُّ » إلى خلط الطعام

لا أظن

بالجواز ؟ .

أربعة أشهر .. ١١٠ مائة وعشرون يوماً .. ونحن لاندوق

لقمة واحدة .. قد خلت من الجواز .

أترى الخبيث له بالجواز ولع فهو يدسه في طعامنا ..

ليل نهار .. حتى يتمتع بما تبقى منا مغموراً بالجواز ؟ .

لا أظن .. فلو أن الأمر كذلك لكان خيراً له أن

يحتفظ بكمية الجواز التي يخلط بها الطعام .. ليخلط بها البقايا

فقط . فيستطيع بذلك أن ينعم في طعامه بكمية من الجواز أوفر .

أترى الغبي حريص على صحتنا .. فهو يدس الجواز في

الطعام حتى يحصننا به ضد الأمراض .. ويحنبنا شر الأوبئة ؟

أم تراه قد ملّ عشرتنا ، فهو يجد في الجواز خير وسيلة

للتخلص منا والقضاء على حياتنا ؟

من يدري ؟ كل هذا جائز ومحتمل فلا أظن أن هناك شيئاً

مستبعداً على صاحبنا ، فهو إنسان غير مفهوم لا يستطيع أن

تميز فيه ناحية الشر أو الخير ، فقد مزج في نفسه خيره بشره

وأضحى خليطاً معقداً لا يستبينه المرء حتى بعد طول دراسة

فأنت تظلمه إذا ما قلت عنه شريراً ، وتظلم نفسك إذا
ما ظلمت به صلاحاً واطمأنت إليه .

ولكن ما ذا يجبرنا على التمسك بهذا الضوّ ، وعلى
الرضوخ لتناول طعامه المخلوط بالجاز ؟

قالوا ماذا يجبرك على السوء ، قلت ما هو أسوأ منه ،
وهذا هو نفس ما كنا نقوله لأنفسنا وقتذاك ، فما أجبرنا على
احتمال سوء الضوّ ، إلا لأننا لم نجد ما هو خير منه .

كان الضوّ على حد قولهم ، يبيع فينا ويشترى ، وكنا
إذ ذاك بالواحات البحرية حوالى عام ١٩٣٩ بإحدى كتائب
آلاى السيارات الخفيفة وقد احتلنا الصحراء التى تشرف
على الواحات من ناحية النقب رقم ١٣ وكانت معنا إذ ذاك
بعض وحدات المدفعية والدبابات ، التى انتقلت إلى هناك
عقب إعلان إيطاليا الحرب .

ولقد وقع اختيارنا عند الرحيل إلى الواحات على
العسكرى الضوّ ، أو على الحاج الضوّ كما كان يسمى نفسه ،
لكى يقوم بمهمة الطبخ لضباط السكتية .

أقول إن اختيارنا قد وقع عليه ، ولو أردت التعبير
لقلت إننا أرغمنا على اختياره ، فما تقدم لنا أحد من عساكر

الكتيبة سواه ، عندما سألناهم عن يجيد منهم عملية الطبخ .
وتقدم الضَّوُّ المذكور ، وأنبأنا في «تقل» أنه كان يعمل
طباخاً لأبازة باشا ، وعائلة أبازة مليئة بالباشوات ، وليس
من باشا منهم إلا وعنده على الأقل طباخ ، ولم يكن من
اليسير علينا أن نلف على الأباطية الباشوات لنسألهم واحداً
واحداً عما إذا كان أحداً منهم قد استخدم طباخاً منذ بضع
سنوات يدعى الحاج الضَّوُّ .

لم يكن هذا بالطبع أمراً يسيراً ، وعلى هذا اكتفينا
بتصديق صاحبنا ، وقلنا في أنفسنا أننا حتى لو حذفنا عامل
المبالغة من قوله ، فلن يكون أقل من مرطون عند أبازة
باشا ، وفي هذه الحالة سيكون لديه ولو فكرة بسيطة عن
الطعام ، ولا بد أنه سيتعلم الطبخ بمضى المدة .
وعلى هذا سلمنا له زمامنا من حيث الطعام ، وبدأ الضَّوُّ
يجرى فينا تجاربه ، كأننا أرايب في معمل .

وبعد بضع أكالات ، اتضح لنا أن الضَّوُّ هذا قد يكون
حقاً اشتغل عند أبازة باشا ، ولكنه قطعاً لم يكن طباخاً ،
ولا مرطوناً ، ولا سفيراً ، قد يكون اشتغل « سايس » ،
سائقاً لسيارة ، سكرتيراً ، أى منصب ، عدا المناصب التي

لها صلة بالطعام ، اللهم إلا في حالة واحدة ، وهي إضراب
أباطه باشا عن الطعام .

وبمضى المدة ، وبطول المكث بين الحلال والكواين ،
حصل الضوُّ على بعض الدراية في فن الطبخ ، أو قل إن
بطوننا اخشوشنت واعتادت شطف الحيش ، كما يعتاد
الإنسان كل سوء يطول به ، وأضحينا أشبه بالحواة الذين
يبلعون الزجاج والزلط .

أقول إننا اعتدنا سيئات هذا الضو ، وبدأنا نستسيغ
طعامه إلا أمراً واحداً ، وهو إصراره على خلط الطعام
بالحجاز .

« ياسى ضو حرام عليك كفايه جاز بقى » .
هذا هو الرجاء الذى كنا نسوقه إليه عقب كل أكلة .
ولما وجدنا أن رجاءنا لم يلق منه أذنا مصغية ، حاولنا أن
نسوقه إليه في صورة أخف على نفسه فقلنا له :
« طيب بلاش تشيل الجاز خففه شويه » .
ولا هذا أيضاً .

« طيب ممكن تجيب الجاز في سلطنيه لوحده ، واحنا
نرشه هنا على الأكل ؟ » .
أبدآ ، إنه لم يكن لديه أية ثقة فينا .

وفي ذات يوم أعلننا الثورة ورفعنا راية العصيان ، وكان أول من وضع بذورها ونادى بسقوط الضوء ، هو أنور البارودي ، الذي جلس إلى عقب تناول إحدى الأكلات وقد أطرق برأسه وبدأ عليه الوجوم والتفكير ، ثم رفع رأسه وقال فجأة :

— إسمع .

— نعم .

— ما الذي يجبرنا على الصبر على كل هذا الأذى واحتمال كل ذلك الضيم ؟
— ماذا تقصد ؟ .

— أقصد ما الذي يجعلنا نحتمل هذا الخنزير الذي سئم أجسادنا بالجواز والرمل .

— ومن الذي يطبخ لنا غيره ؟

— لا أحد ، نحن نطبخ ، هل تظن أن الطبخ عملية شاقة ؟ إنها أسهل مما تتصور ، إن الأمر لا يستلزم منا سوى شيء من الجرأة ، ما رأيك في أن نطرده ، ونبدأ الطبخ من الغد ؟ وكنا في رمضان والنهار أمامنا طويل ولا شيء يمنعنا من إجراء التجربة ، فلعلها ناجحة ولعلها تنقذنا من نير الضوء .
وفي الصباح ، تحرك البارودي إلى خيمة المطبخ ، ونادى

على الضَّوِّ ، فخرج إليه صاحِبنا بوجهه اللامع الممتلئ ، وقد
علت وجهه انتسامة الرضا وبدأه بالتحية قائلاً بدون تكليف :
— صباح الخير يا فندم .

وأشار البارودي بأصبعه إلى حيث خيام العساكر وقال :
— على الأورطة .

ولم يكن الضَّوُّ قد ظن شراً إذ لم يخطر على باله قط أننا
نستطيع أن نستغنى عنه فسأل البارودي ببساطة :
— حضرتك تريد شيئاً من الأورطة ؟ .

— أريدك أن تذهب إلى الأورطة ولا تثرينا وجهك أبداً
ولم يخف على الضَّوِّ أن هناك مؤامرة قد دبّت ضده
فهز رأسه وأجاب :

— حاضر يا فندم ، مفيش مانع أبداً .
وفي الساعة العاشرة أحضرت التعيينات وكانت تصرف
للضباط وقتئذ نفس تعيينات الجنود ، وكان الحضر في ذلك
اليوم : قرعاً ، أو على الأصح قرعة ، فقد كان كل ما أحضر
لنا في خيمة المطبخ هي قرعة ، وحيدة ، ولا أشك أن أي
قارىء — غير عسكري — سيتساءل في دهشة : « قرعة »
واحدة لكل ضباط الأورطة ؟ .

ولست أشك أيضاً في أن أي قارىء عسكري ، من

أبصروا خضار الجيش المصرى ، سيتساءل فى دهشة كذلك
« قرعة بأكلها لضباط أورطة ، لا ، لا ، هذه مبالغه ! »

والواقع أنها كانت . . قرعة وافية . . لا تقل بحال من
الأحوال عن الشهامة . . الضخمة . . ونظر إلى البارودى
ونظرت إليه (ولم يكن هناك غيرنا من يعلم بالمؤامرة التى
دبرناها لطرد الضَّوء) . . ثم نظر كلانا إلى القرعة الشبيهة
بالقتيل وتساءلنا فى نفس واحد : « ماذا سنفعل بها ؟ » .

وفكر البارودى برهة ثم قال ببساطة :

— نعملها صينية .

— صينية قرع ؟ .

— ولمَ لا ، ألم تأكل فى حياتك صينية بطاطس ؟ .

— صينية بطاطس ، أى نعم أكلت ، ولكن صينية قرع ؟ !

— وما الفرق بين البطاطس والقرع . . هل سترفض

القرعة أن تعمل صينية ؟ .

ونظرت إلى القرعة السمينة ، ولم يبد لي أنها يمكن أن

ترفض أى شئ فقلت له :

— لا . . لا أظنها سترفض .

— انتهينا .

ثم أمسك بالقرعة فى يده وقال :

— عليك التقشير ، وعلى التخريط .

ووجدت أنه سيبدأ في « استكرادى » من أول الأمر
فإن عملية التخريط أسهل مائة مرة من التقشير فقلت له :

— لا ، بل عليك أنت التقشير ، وأنا على الباقي .

وفكر البارودى برهة ثم قال :

— اسمع سنحضر الضو لتقشيرها ، ثم نطرده بعد ذلك .

وحضر الضو فقام بتقشير القرعة ، وقد بدت عليه

علامات الشجاعة ، وعند ما انتهى من التقشير أشار له
البارودى أن يعود من حيث أتى .

وبدأنا في تخريط القرعة في إحدى الصواني ، ثم خرطنا

الطماطم فوقها ووضعنا فوق الخليط كمية لا بأس بها من البصل

ثم حشرنا اللحم في جوف الخليط ، وصببنا فوق كل ذلك

ما يقرب من رطلين من السمن .

وفرك صاحبي كفه وبدت عليه علامات الغبطة

والارتياح ثم قال متفاخراً :

— ألم أقل لك ؟ هذه هي كل « الشغلانة » ، ليس هناك

أبسط منها ولا أسهل .

وأشعلنا وابور الجاز ووضعناه أسفل الفرن الصاج

الأسود الذى أحضرناه معنا من القاهرة لمثل هذه الطوارئ

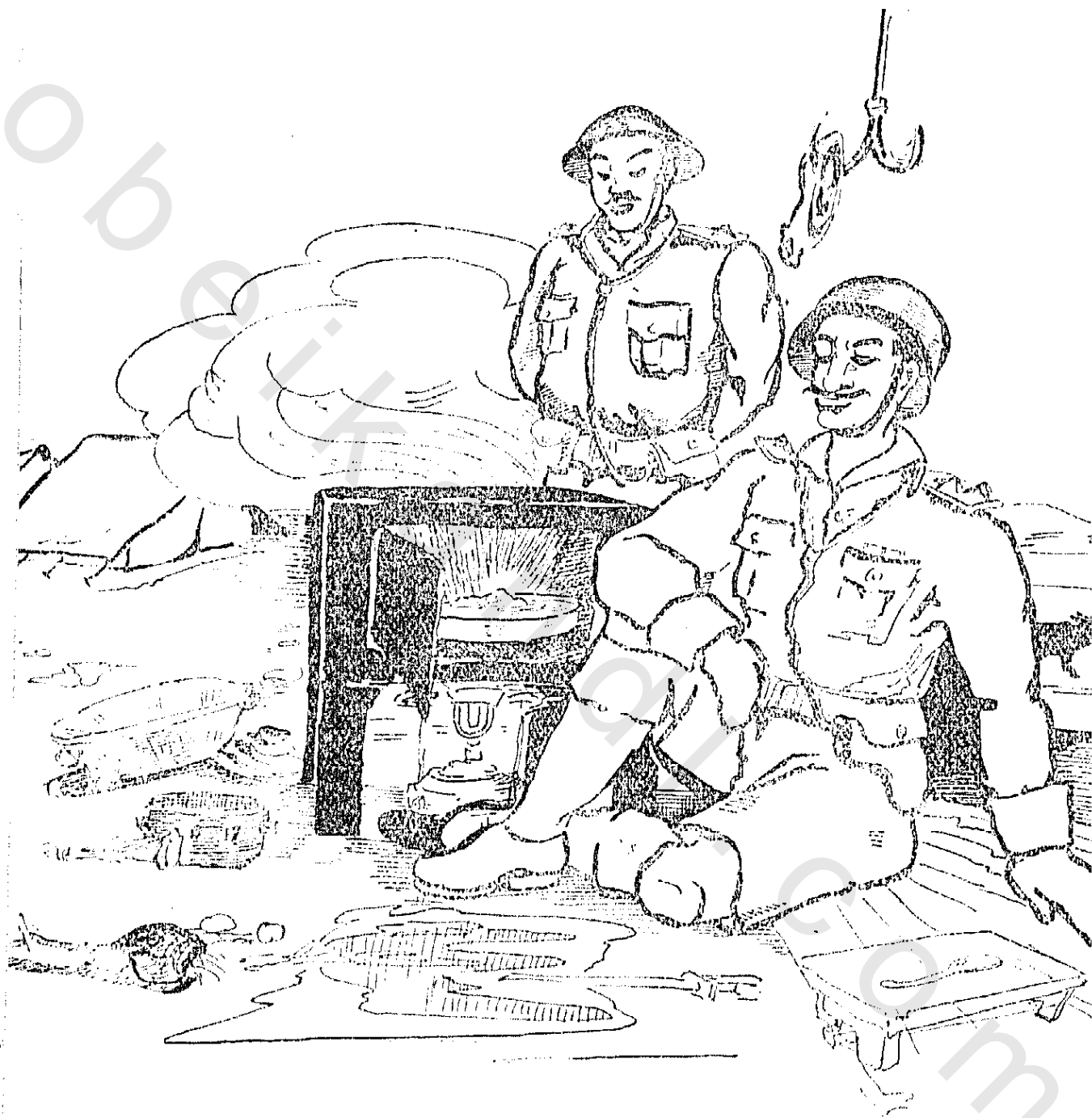
وهممنا بوضع الصينية داخله ، ولسكننا توقفتنا فجأة وقلت
لصاحبي :

— الملح ؟ لقد نسينا الملح ، وكندنا نشممت فينا الضو .
— آه ، لقد ذكرتنا ، تصور أننا كنا على وشك أن
نفسد الطبخة - كما يقولون - لأجل « شوية » ملح . أين الملح ؟
— لا أظن أن الملح وحده يكفي ، بل لابد من التوابل
الأخرى ، حتى تعطى الصينية طعماً ونكهة ، لابد من الفلفل
والكسبرة والكمون والبهارات ، ففي هذه الأشياء البسيطة
سر الطبخ .

وألقينا نظرة على صف ألعاب المرصوفة فوق المنضدة
وقال صاحبي :

— أظن أن هناك أصناف معينة من التوابل تلائم
الصواني ، ويتحتم علينا أن نعرف بالضبط ماهي الأصناف
التي تلائم القرع ، وإلا فسدت الصينية ، ثم لا تنس أنها
لا توضع إلا بنسبة معينة وكميات محددة .

وبدت لنا مسألة وضع التوابل مشكلة عسيرة ، ولم نر
خيراً من أن نرسل إلى الضو نساله - دون أن يحضر - عن
أنواع وكميات التوابل التي توضع في صينية القرع .
وجاء المرسل يخبرنا أن الضو الخبير يقول :



— العلب عندهم، يأخذون منها ما يشاءون، هي كيمياء؟
ونظر إلى البارودى وتقدم إلى العلب وعليه سيما من
نوى أمراً جللاً وقال :

— دعك منه، خليها بالبركة، وربك يستر .
وبدأت التوابل تتدفق على الصينية بغير حساب، هذه
كسبرة، وهذا كمون، وهذه مستكة، وهذا حبهان، فلفل
أسود، فلفل أحمر، كله خير، كله بركة .
وأخيراً دخلت الصينية الفرن تنهادى باسم الله حافظها
ومنضجها .

وجلسنا بجوار « المحروسة » ننتظر نضجها، وبعد خمس
دقائق فتح البارودى الفرن ليرى ما تم بها . . فوجدها
بالطبع كما هي .

وأصابنا الملل ونحن جالسين أمام الفرن نفتح كل دقيقة
فنجد الصينية كما هي، ونظر البارودى إلى وقال مستشيراً :
— ما رأيك فى أن نحضر الضو ليجلس - فقط - أمام
الصينية ؟ .

— فكرة طيبة بشرط أن يجلس على الحياض فلا يتدخل
قط فى شئون الصينية .

وأحضرنا الضو، وذهبنا إلى خيمتنا وجلسنا نتسلى

بالقراءة ، وبعد نصف ساعة ذهبنا لنرى ماتم في أمر الصينية
وفتحنا الفرن ، ونظرنا إليها فإذا بها خضراء من غير سوء .
وهز صاحبي رأسه في دهشة متسائلا :
— لماذا لا تستوى ؟ .

ثم نظر إلى الضَّوِّ في غيظ وهمس إلى :
— يخيل إلى أن الخبيث يرفع الوابور من أسفل الصينية
عندما نذهب ثم يضعه ثانية عندما يحس بنا .
ونظرت إلى الضَّوِّ الشامت الساخر وإلى الصينية الخضراء
التي تأبى النضج وقلت له متشككا :
— جائز . . لا أستبعد على الخبيث أى منكر .

وعدنا إلى الخيمة وبعد نصف ساعة أخرى ذهبنا «نطل»
على الصينية فإذا بها كما هي ، وأشار البارودي إلى خيام
العساكر وقال للضَّوِّ :

— إذهب ولا ترينى وجهك ، وإلا جنيت على نفسك .
وجلسنا أمام الصينية كأننا أسدا قصر النيل ، والوابور
بجوارنا يئز ، والصينية - ساحرها الله - لا تشعر ولا تتأثر .
وقرب ميعاد الإفطار ، والصينية لم يفارقها الاخضرار
وأخيراً سلمنا أمرنا لله وأخرجناها فأدهشنا أنها استوت
رغم أن لونها لم يتغير ، واعتبرنا الأمر حدثاً في عالم الطبخ .
ودق المدفع وأقبل الضباط على خيمة الأكل ، وفوجئوا

بالصينية تتوسط السفرة ، وجلست أنا والبارودى نفرك
أيدينا وقد كسونا وجوهنا علامات التواضع وإنكار الذات
وقلنا ببساطة : « نحن الذين عملناها » .

ونظر إلينا (على مقلد) « قائد السكتيبة » بعد أن تذوق
اللقمة الأولى ثم قال فى حسرة :
— والله عملتوها .

وذقنا الصينية وإذا بعنصر الجاز متوفر فيها كل التوفير .
وتبادلت أنا والبارودى النظرات . . نظرات الندم على
أننا تركنا الضو ينفرد بالصينية .

ولكن هل ترى الضو حقاً ، قد انتهر فرصة نخاوه
بالصينية فصب عليها الجاز ؟ .

لا نظن فقد كان الضو مظلوماً . . ولم نسكتشف أنه
مظلوم ، إلا عندما فرغت صفيحة السمن ، وأحضرنا صفيحة
جديدة ، فانقطع الجاز ، لقد كانت صفيحة السمن الأولى
هى منبع الجاز فقد كان سمنها مخلوطاً به . . .

وعند ما كانوا يسألوننا بعد ذلك ما الذى يجبركم على
احتمال سوء الضو !! كننا نجيب : ما هو أسوأ منه .

ولم يكن هناك أسوأ منه . . بل أسوأ من أى شىء على
وجه الأرض سوى « صينية القرع » .